

هذا الصباح صباح الشيب قد وضحا
سرعان ما كان ليلا فاستنار ضحى
للدهر لوان من نور ومن غسق
وتلك صبغته أعدى بنيه بها
هذا يعاقب هذا كلما برحا
إذا تراخى مجال العمر وانفسحا
ما ينكر المرء من نور جلا غسقا
ما لم يكن لأماني النفس مطرحا
بمفرق فمحي العيش قد كلحا
يلقى المشيب بإجلال وتكرمة
من قد أعد من الأعمال ما صلحا
أما ومثلي لم يبرح يعلله
من النسيم عليل كلما نفحا
والبرق ما لاح في الظلماء مبتسما
من جانب السفح إلا دمه سفحا
فما له برقيب الشيب من قبل
من بعد ما لام في شان الهوى ولحا
يأبى وفائي أن أصغي للائمة
وأن أطيع عدولي غش أو نصحا
يا أهل نجد سقى الوسمي ربكم
غيثا ينيل غليل الترب ما اقترحا
ما للفؤاد إذا هبت يمانية تهديه
أنفاسها الأشجان والبرحا
يا حبذا نسمة من أرضكم نفحت
وحبذا ربرب من جوكم سنحا
يا جيرة تعرف الأحياء جودهم
ما ضر من ضن بالإحسان لو سمحا
ما شمت بارقة من جو كاظمة
إلا وبت لزند الشوق مقتدحا
في ذمة الله قلبي ما أعله بالقرب
إلا وعاد القرب منتزحا
كم ليلة والدجى راعت جوانبها
قلب الجبان فما ينفك مطرحا
سريرتها ونجوم الأفق فيه طفت
جواهرأ وعباب الليل قد طفحا
بسابع أهندي ليلا بغرته والبدر
في لجة الظلماء قد سبحا
والسحب تنثر در الدمع من فرق

والجو يخلع من برق الدجى وشحا

إلا بلغت من الأيام مقترحا
إلا أدرت كؤوس العز مصطبحا
مثل الخيال تراءى ثمت انتزحا
أليس كل امرئ يجزى بما كدحا
فما فرحت به قد عاد لي ترحا
منازلا أعلمت فيها الخطا مرحا
لو أن قلبا إلى التوفيق قد جنحا
والأمر لله والعقبى لمن صلحا
وطرفها في عنان الغي قد جمحا
من باع رشدا بغي قلما ربحا
فأنت أكرم من يعفو ومن صفحا
إلا الرسول ولطفا منك إن نفحا
إلا وجدت جناب اللطف منفسحا
إلا تفرج باب الضيق وانفتحا
بي القفر مهما امتد وانفسحا
من حلها احتسب الآمال مقترحا
أ من الجمال بنور الله متضحا
يغادر صدر الدين منشرحا
قد بذ في الفخر من ساد ومن نجحا

ما طالبت همتي دهري بمعلوة

ولا أدرت كؤوس العزم معتبقا
هذا وكل الذي قد نلت من أمل
كم يكدح المرء لا يدري منيته
وارحمنا لشبابي ضاع أطيبه
أليس أيامنا اللائي سلفن لنا
إنا إلى الله ما أولى المتاب بنا
الحق أبلج والمنجاة عن كذب
يا ويح نفس توانت عن مراشدها
ترجو الخلاص ولم تنهج مسالكها
يا رب صفحك يرجو كل مقترف
يا رب لا سبب أرجو الخلاص به
فما لجأت له في دفع معضلة
ولا تضايق أمر فاستجرت به
يا أهل تبليغني مثنوا ناجية تطوي
حيث الربوع بنور الوحي أهلة
حيث الرسالة تجلو من عجائبه
حيث النبوة تتلو من غرائبها ذكرا
حيث الضريح بما قد ضم من كرم
يا حبذا بلدة كان النبي بها

يا دار هجرته يا أفق مطلعة
يلقى الملائك فيها أية سرحا
من هاشم في سماء العز مطلعة
لي فيك بدر بغير الفكر ما لمحا
من آل عدنان في الأشراف من مضر
أكرم به نسبا بالعز متشحا
من محدث تطمح العلياء إن طمحا
تسام بالمجد من آبائه الصرحا
والله لو وزنت بالكون ما رجحا
يا مجتبي وزناد النور ما قدحا
لولاك ما راقت الأفلاك ملتحمحا
حتى تبين نهج الحق واتضح
بوركت مختتما قدست مفتححا
والقلب في العالم العلوي ما برحا
والنور منها إلى الأبصار قد وضحا
تكل عن منتهاها ألسن الفصحا
له قد ظللته غمام الجو حيث نحا
ورحمة تشمل الغادين والروحا
والله أكرم من أعطى ومن منحا
هذا بلاغ لمن حلاك ممتدحا
فأين يبلغ في عليك من مدحا
فجهدي اليوم أن أهدي لك المدحا
تدني محبا بأقصى الغرب منتزحا
يا مصطفى وكمام الكون ما فتقت
لولاك ما أشرقت شمس ولا قمر
صدعت بالنور تجلو كل داجية
يا فاتح الرسل أو يا ختمها شرفا
دنوت للخلق بالألطف تمنحها
كالشمس في الأفق الأعلى مجرتها
كم آية لرسول الله معجزة
إن ردت الشمس من بعد الغروب
يا نعمة عظمت في الخلق منتها
الله أعطاك ما لم يؤته أحدا
حبيبه مصطفاه مجتباه وفي
أثنى عليك كتاب الله ممتدحا
قد أبعدتني ذنوبي عنك يا أملي
لعل رحماك والأقدار سابقة
نفس شعاع وقلب خان أضلعه

مما يعاني من الأشواق قد برحا
فزفرتي أذكيت أو مدمعي سفحا
لما تباعد عن لقياه وانتزحا
كأنها لم تجد عن ذاك منتدحا
وأن يقرب بعد البين من نزحا
طال الوقوف وحر الشمس قد لفحا
أنت الغياث وهول الخطب قد فدحا
أن يخفق السعي مني بعدما نجحا
تنجي غريقا ببحر الذنب قد سبحا
لعل حبك يمحو كل ما اجترحا
بشرى تعود لي اليوسى بها فرحا
العاقب الماحي الذنوب محا
ما العارض انهل أو ما البارق التمحا
باب إلى العلياء قد فتحا
بسعده الطائر الميمون قد سنحا
ألا ترى عينه يؤسا ولا ترحا
غراء لم تعدم الأحجال والقزحا
طير على فنن الإحسان قد صدحا

إذا البروق أضاءت والغمام همت
لم لا أحن وهذا الجذع حن له
كم ذا التعلل والأيام تمطلني
ما أقدر الله أن يذني على شحط
يا سيد الرسل يا نعم الشفيع إذا
أنت المشفع والأبصار شاخصة
حاش العلا وجميل الظن يشفع لي
عساك يا خير من ترجى وسائله
ما زال معترفا بالذنب معذرا
عسى البشير غداة الروح يسمعني
لا تياأسن فإن الله ذو كرم وحبك
صلى الإله على المختار صفوته
وأيد الله مولانا بعصمته بأي
وهنى الدين والدنيا على ملك
أنا الضمين لمكحول بغرته
مولاي خذها كما شاءت بلاغتها
كأن سرب قوافيها إذا سنحت
نبذة عن الشاعر ابن زمرك

٧٣٣-٧٩٥ هـ / ١٣٣٣-١٣٩٢ م

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي، أبو عبد الله.
المعروف بابن زمرك وزير من كبار الشعراء والكتاب في الأندلس، أصله من شريقيها، ومولده بروض
البيازين (بغرناطة) تتلمذ للسان الدين ابن الخطيب وغيره.
وترقى في الأعمال الكتابية إلى أن جعله صاحب غرناطة (الغني بالله) كاتم سره سنة ٧٧٣هـ، ثم المتصرف
برسالته وحجابه.
ونكب مدة، وأعيد إلى مكانته، فأساء إلى بعض رجال الدولة، فختمت حياته بأن بعث إليه ولي أمره من قتله
في داره وهو رافع يديه بالمصحف.
وقتل من وجد معه من خدمه وبنيه، وكان قد سعى في أستاذه لسان الدين بن الخطيب حتى قتل خنقاً فلقي
جزاء عمله.
وقد جمع السلطان ابن الأحمر شعر ابن زمرك وموشحاته في مجلد ضخم سماه (البقية والمدرك من كلام
ابن زمرك) رآه المقرئ في المغرب ونقل كثيراً منه في نفح الطيب وأزهار الرياض.
قال ابن القاضي:
كان حياً سنة ٧٩٢ ذكرت الكوكب الوقاد فيمن دفن بسببته من العلماء والزهاد.